رود الإيثار

سؤال: ما هي مكانةُ خصلةِ الإيثار وما أهمّيَّتها في حلِّ المشكِلات الإنسانيّة؟ وكيفَ يتسنّى للإنسان أن يتحلّى بها؟

الجـواب: إن الإيثـارَ الذي يعنـي تفضيلَ المرءِ غيرَهُ على نفسـه هـو مـن أهـمِّ القِيَـمِ التي فقدْناهـا؛ وما من شـيءٍ يقـفُ وراءَ الهرجِ والمـرجِ والاختلافِ والفرقةِ وعـدم قَبولِ الآخر والتنازع بين الأفراد والمجتمعات اليوم إلا موت روحِ الإيثار، وسـببُ موتِ هذه الروح إنما هو إشـرافُ القِيَمِ القلبيّة على التحلُّلِ والفسـاد؛ لأن القلبَ حين يفسـدُ تنمحـي منـه كلُّ القيم الإنسـانية والنقـوش والثوابـت العالية المفطـورة فـي الإنسـان باعتباره خُلِقَ في "أحسـنِ تقويـم"، ومن ثمّ يتسلَّلُ الشيطانُ إلى عالمِ الإنسانِ الفكريّ ويتلاعب فيه بأريحيّة تامّة، ولهـذا فقد ختم رسـول الله ﷺ حديثـه: "**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّـنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ**" بقوله ﷺ: "**أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَـدِ مُضغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِي الْقَلْبُ**"(٢٢).

وهذا يعني أن حياةَ القلبِ المعنويّة والحفاظ عليها مرهونٌ بمدى حِرْصِ الإنسانِ على طهارةِ قلبه ونقائه من كلِّ أنواع الدَّنَسِ، ومراقبته إيّاه يوميًّا، وفي هذا الشأن فعلى السالِكِ أن يستدرَّ هذا الطهر والنقاء

(٢٢) صحيح البخاري، الإيمان، ٣٩؛ صحيح مسلم، المساقاة، ١٠٧.

القلبـيّ عبر الإلحاحِ بالدعاء، وعليـه أن يتحلّى بأعلى درجات الدِّقّة والحـذر، حتّـى إنّه ينبغي لـه أن يبتعد تمامًا عن الخيـالاتِ والأفكارِ السـيئة التي من شـأنِها أن تُخَلِّفَ آثارًا سـلبيّة في القلب، لأنه وكما ورد فـي الحديـث النبوي الشـريف: "**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَـادِكُمْ، وَلَا إِلَـى صُوَرِكُـمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**"(٢٣)؛ فإن الله ﷻ ينظر إلى قلب الإنسان ويجازيه بناءً على ذلك، ولا ينظر ﷻ إلى وزن الإنسان ومنظـره ولا البيئـة الثقافية التي نشـأ فيها، وإنما ينظـر إلى صفاءِ قلبه ونقائه، ويعامله وفقًا لهذا، كما أنه يُنظر في الآخرة أيضًا عند الميزان إلى قيمة القلب وثِقَله؛ فيُقدَّرُ الإنسان بقدرِ توجُّهِ قلبه إلى الله تعالى، وخوفـه منه وشـعوره بهِ ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَـالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (سورة الشُّعَرَاءِ: ٢٦/٨٨-٨٩).

العصر الذهبي لروح الإيثار: عصر السعادة

إنّ ذوي القلوب الطاهرة النقيّة مفعمون بمشـاعر الرأفة والشـفقة تجاه الإنسانية، ويُفكّرون ويَشْتغلُون في الوقتِ نفسه بإحياءِ الآخرين وحياتهـم أكثر من حياتِهم أنفسـهم، وهو الأمر الـذي ترتبط به روح الإيثار في الأساس، وقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى خصلة الإيثار بقوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (سورة الْحَشْرِ: ٥٩/٩)، ولقد كان العصرُ الأكثرُ ازدهارًا وشـيوعًا لهذه الروحِ والفكرة هو عصرَ السعادة الذي تَصَدَّرَ تاريخ الإسلام، ومن ذلك على سبيل المثـال أنّ رَجُـلًا أتى النبـيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَـائه فَقُلْنَ: مَـا مَعَنَا إِلَّا المَـاءُ، فَقَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: "**مَنْ يَضُـمُّ أَوْ يُضِيفُ هَـذَا**"، فَقَالَ رَجُلٌ

(٢٣) صحيح مسلم، البر، ٣٣-٣٤؛ سنن ابن ماجه، الزهد، ٩.

مِـنَ الأَنْصَـارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ به إِلَى امْرَأَته، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُـولِ الله ﷺ، فَقَالَـتْ: مَـا عِنْدَنَـا إِلَّا قُوتُ صِبيَانِـي، فَقَالَ: هَيِّئِـي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صبيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْـهُ، فَجَعَـلَا يُرِيَانه أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَـا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَـى رَسُـولِ الله ﷺ، فَقَالَ: "عَجِبَ اللهُ اللَّيْلَةَ مِـنْ فعَالِكُمَا" فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الْحَشْرِ: ٩/٥٩)[٢٤].

وقد تناول محمد عاكف هذه الروح المباركة السامية وعرض لها في قصيدةٍ نَظَمَها حولَ موقعة "اليرموك"؛ حيث ارْتُثَّ[٢٥] من ساداتنا الصحابة الكرام في هذه الحرب كلٌّ من الحارث بن هشـام وعكرمة ابـن أبـي جهل وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهم فَدَعَا الْحَارِثُ بِمَاءٍ يَشْـرَبُهُ، فَنَظَـرَ إِلَيْـهِ عِكْرِمَةُ، فَقَالَ الْحَـارِثُ: ادْفَعُوه إِلَى عِكْرِمَـةَ، فَنَظَرَ عَيَّاشُ ابْـنُ رَبِيعَـةَ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: ادْفَعُـوهُ إِلَى عَيَّاشٍ، فَمَا وَصَـلَ إِلَى عَيَّاشٍ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى ذاقوا طعمَ الشهادةِ وما ذاقوا الماءَ[٢٦].

وقد وقعت أمام عينيّ حادثةٌ مشـابهةٌ لما أسـلَفنا، لا أنساها أبدًا، حيـث كنّـا في مخيم "بوجة"[٢٧]؛ إذ جاءت قطعةُ لحمٍ في طبقِي حين كنا نأكلُ الطعام، فدفعتها فورًا أمام أسـتاذ حلَّ بنا ضيفًا وكان جالسًـا

(٢٤) انظر: **صحيح البخاري**، مناقب الأنصار، ٧٠، تفسير سورة الحشر، ٦/١٤٨؛ **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٧٢-١٧٣.

(٢٥) **ارْتُثَّ فلان**: ضُرِبَ في الحرب فأُثْخِنَ وحُمِلَ وبه رَمَقٌ ثم مات.

(٢٦) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ٣/٢٧٠؛ البيهقي: **شعب الإيمان**، ٥/١٤٣؛ ابن عبد البر: **الاستيعاب**، ٣/١٠٨٤.

(٢٧) عقد مخيم "بوجة" عام (١٩٦٨م)، من أجل تنشئة الطلاب وتهذيبهم، ولمزيد من المعلومات انظر: **فتح الله كولن: قصة حياة ومسيرة فكر**، ص ٧٠-٧٩.

بجـواري، فدفعها بِـدَوره إلى مَن بِجِواره، وهكـذا دواليك، وبعد أن طافت قطعةُ اللحم ربما أمام اثني عشر رجلًا عادت إلى طبقِ الضيفِ الأوَّلِ مـرَّةً ثانيـةً، فعلَّـقَ الأسـتاذ المليـحُ على هذا بقراءتـه قول الله تعالى: ﴿بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ (سورة يُوسُفَ: ١٢/٦٥)، وهكذا فإن انتشارَ هذا الشـعورِ والحسّ بين الناس مهمٌّ جدًّا من أجل سـلامة المجتمَعِ وطمأنينته وبناءِ روحِ الأخوّة بين أفراده.

الإيثار في المنصب والرتبة

كلُّ هـذه أمثلـة مهمة بالنسـبة للإيثار، ومـع هـذا فينبغي ألا يُنظر إلـى الإيثـار على أنه مجـرَّدُ تفضيـلِ الآخرين على النفـسِ في أمورٍ كالمـأكلِ والمشْـرَبِ والملبَـسِ فحسـب؛ فتفضيل المـرء أخاه على نفسـه حين يتعلّق الأمر بالمقام والمنصِبِ والرتبةِ مهمٌّ جدًّا بالنسـبة لمعنى الإيثار، وما أجمل موقف سيدنا عمر ﷺ وما أجوده من مثالٍ فـي هـذا الشـأن؛ فحينمـا انتقل مفخرة الإنسـانية ﷺ إلـى أفق روحه اجتمـع الصحابة الكرام من فورهم فيما بينهم كي يتفقوا على خليفة حتى لا تفسـدَ الوحدة الروحية التي بين المسلمين، ولا يتفرقَ شملُ المجتمـع المسـلم، فعـدَّدَ سـيدنا أبـو بكـر فضائل عمر وقـال لمن حوله من الصحابةِ في سـقيفة بني سـاعدة: بَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْـنَ الجَـرَّاحِ، فَقَالَ عُمَـرُ: بَلْ نُبَايِعُـكَ أَنْتَ، فَأَنْـتَ سَـيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَـا إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَده فَبَايَعَـهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ[٢٨]، ومن ثم فإن تراجـعَ الإنسان خطوةً إلى الوراء وتقديمه أخاه على نفسه في الإمارة والصدارة نوعٌ مهمٌّ جدًّا من أنواع الإيثار.

(٢٨) انظر: صحيح البخاري، المناقب، ٣٣؛ سنن النسائي، الإمامة، ٢؛ مسند الإمام أحمد، ١/ ٢٨٢.

وبالمناسبة عليَّ القول إننا لسنا في وضعٍ يسمحُ لنا بقياسِ أوجُهِ عظمةِ سيِّدنا أبي بكر وسيّدنا عمر ورفعةِ كلٍّ منهما؛ لأننا لا نملكُ ميزانًا يَزِنُ أعمالَهما بما يتَّفِقُ وقيمتَهما الخاصّة، وأظنُّ أنه حتى وإن همَّ الميزان الذي في الآخرة أن يَزِنَ أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعليًّا ﷺ وثواب أعمالهم فإنه ينوءُ بذلك، فكلُّ واحدٍ منهم قيمةٌ متفرِّدةٌ بِرَأْسِها، حتى إنهم ساروا متساوين في المرتبة، فلم تبقَ أمامهم مرتبةٌ إلا وأدركوها سوى الرسالة، وإنما لم يُحرِزوا الرسالةَ لأنه لا رسالة بعد رسول الله ﷺ، ولو أنه كان هناكَ نبيٌّ بعد مفخرةِ الإنسانيّة ﷺ لكانَ أحدَهم.

أجل، حين رأى سيِّدنا أبو بكر سيدنا عمرَ ﷺ جديرًا بالخلافةِ رآه عمرُ أيضًا حقيقًا بها، ومن المؤكَّدِ أنَّ أيًّا منهما لم يقلْ ولو حتى في حديثِ نفسه الداخلي: "إنني أستطيع أن أُتقنَ هذا العمل أكثر من صاحبي؛ فقد أُشِيرَ إليَّ"، وهكذا فإن قدرةَ المرءِ على تفضيلِ غيره من إخوته على نفسه حين تتعلَّقُ المسألةُ بنَيلِ مناصبَ معيّنة ربما يُمثِّلُ في حدِّ ذاته مرتبةً من الإيثار تفوقُ كلَّ أنواعِ الإيثارِ في المنافِعِ المادّيّة.

ومن يتحلَّى بهذهِ الخصلةِ لا يُفضِّلُ أن يعيشَ ويحيا هو فحسب، بل يُؤْثِرُ على نفسه أن يحيا الآخرون، ويتصرَّفُ بجرأةٍ وجسارةٍ حتى إنه ليقول: "أموتُ وأفنى إن لزمَ الأمرُ، المهمّ أن يحيا الناس، وإن كان بقاءُ أمَّتي وثباتُها مرهونٌ بالتضحيةِ بي فإنني أسأل الله تعالى أن يَقسِمَ لي هذا في الحال"، وعلى العكسِ من ذلك فإن الشقيَّ المحرومَ من هذه الروح الطيّبةِ هو مَنْ يحسب نفسه أساس كلِّ شيء

وأنّه كالثَّورِ الذي يحملُ الكرة الأرضيّة، ويتوهّم أنها ستنهار إذا ما انسحب من أسفلها فتقوم القيامة.

الإيثار ولو حتى على عتبةِ الجنة

كم أن المشهد الآتي مؤثّرٌ وجديرٌ بالانتباه إليه بشأن بيان إلى أيّ مدى قد يصل الإيثار؛ فقد رُوِيَ أن سيّدَ الأنام ﷺ أُطلِعَ على الْتِقاءِ الأثرياء والعلماء عند باب الجنّة فأخبرَنا بما دار بينهما؛ حيث قال العلماء للأثرياء: "تفضلوا، الأولويّة لكم، هذا حقُّكم أنتم، ادخلوا أنتم أوّلًا، لأنكم لو لم تنفقوا ثرواتكم في سبيل الله، ولم تؤسّسوا مراكز العلم، ولم تُجهّزوا الإمكانيات التعليميّة لما كنا نحن علماء، ولما وجدنا الطريق والاتجاه السليم، فقد تسبَّبْتم أنتم في سيرنا في طريق العلم وانفتاح أُفُقِنا، إننا مدينون لكم، ولذلك فالأولويّة لكم أنتم، فلتتفضَّلوا!"، وتراجعوا خطوة إلى الوراء احترامًا لهم، غير أن الأثرياء الأسخياء يردُّون عليهم قائلين: "الحقيقةُ أننا نحن المدينون لكم، لأنكم لو لم تُبصِّرونا بِفَضْلِ عِلْمِكم الواسع، ولم ترشدونا أحسنَ الإرشاد، ولم تعلّمونا أن نقرأَ الأوامر التكوينيّة والتشريعيّة سويًّا، ولم تدلُّونا إلى جمال الكسبِ الحلال والإنفاقِ في سبيل الله تعالى لما استَطَعْنا أن نُنْفِقَ ثرواتنا في سبيل أعمالٍ خيّرةٍ كهذه، لقد أرشدتمونا وحملتمونا من الإعطاء مرة إلى الكسبِ آلاف المرات، ولهذا فإنكم روّادُنا هنا في الآخرة كما كنتُم في الدنيا، فلتتفضَّلوا بالدخولِ أنتم أوّلًا!"، وبعد هذا الحوار العذب يتقدَّمُ العلماءُ، ويدخلون الجنةَ مع الأغنياء الأسخياء إثر بعضهم البعض.

يجب ألّا نفهم هذا الحوار الذي دار بين العلماء والأثرياء الأسخياء على أنه مجرَّدُ نقلٍ لحادثةٍ ستقعُ لاحقًا، بالعكس؛ يجب هنا أيضًا الحديث عن مدى اتِّساعِ أفق الإيثار وإطاره، تخيلوا أن هناك جسرًا (أي الصراط) صعبَ المجاز وميزانًا وحساباتٍ ثقيلة خَلَّفَها هؤلاء الناسُ حتى وصلوا باب الجنّة، بينما أمامهم من أوجهِ جمال الجنّةِ ما يُذهِل العقول ويُبهر الألباب؛ مما لا عينٌ رأَتْ ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ قطّ، تخيّلوا كم ينبَهِرُ الإنسان ويُصبح وكأنه سيُغمى عليه حين يرى تلك المحاسن والجماليات، استحضَروا كيف تتجلّى روح الإيثار حتى أمام منظرٍ كهذا! وهكذا يُبَيِّنُ لنا رسولُ الله ﷺ بهذا المشهدِ الذي رَسَمَهُ لنا كم أنّ سبيلَ روحِ الإيثارِ يمتدُّ إلى هذا الحدِّ.

وقد قال فذُّ زماننا وأحدُ ورثةِ الأنبياءِ الأستاذ بديع الزمان رحمه الله: "لم أَذُقْ طوالَ عمري البالغِ نيِّفًا وثمانين سنة شيئًا من لذائذ الدنيا، قضيتُ حياتي ما بين ميادين الحرب وزنزانات الأسر وسجون الوطنِ ومحاكمِ البلاد، ولم يبقَ صنفٌ من الآلامِ والمصاعِبِ لم أتجرَّعْهُ... لقد ضحَّيتُ بكل شيء في سبيل تحقيقِ سلامةِ إيمانِ المجتمع... وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام فإنني أرضى أن أُحرق في لهيبِ النيران؛ إذ بينما يحترقُ جسدي يرفلُ قلبي في سعادةٍ وسرورٍ"[٢٩]، ومن يسمع كلماته هذه يُخيَّلُ إليه أنَّ هذا النَّفَسَ وهذا الصوت آتٍ من قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان؛ ومنبعثٌ من عصرِ صدرِ الإسلامِ، وأظنُّ أن مجتمعَنا في حاجةٍ ماسّةٍ إلى روحٍ من الإيثار الواسعِ الشموليّ أكثر من حاجته إلى الماءِ والهواءِ.

(٢٩) بديع الزمان سعيد النورسي: **السيرة الذاتية**، ص ٤٩٢.

إن عودة سيدنا رسول الله ﷺ إلى وطن المحنة هذا بعد أن رأى في رحلة المعراج ما لم يُرَ، وبلوغه ما لم يُبلَغْ، واجتيازَه ما لم يُجتَزْ في غايةِ الأهمّيّة من حيث فهم المرتبة الأعلى في أفق الإيثار؛ فقد التقى النبي الأكرم ﷺ في رحلته هذه بكلٍّ من سيدنا المسيح، وسيدنا موسى، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا آدم ﷺ، ولقي من هؤلاء الأنبياء الكرام التشريفَ والتكريمَ والتبجيلَ، ثم دخل الجنَّة فرأى جمالها وحسنها الأخّاذ[٣٠]، بعد ذلك شاهد جمال الحقِّ تعالى، ومن يدري كيف تشعرُ روح الإنسان وتُحِسُّ بمشاهدة الله! وقد ورد في كتاب "بدء الأمالي":

يراه المؤمنون بغير كيف وإدراكٍ وضرب من مثالِ

فينسون النعيم إذا رأوه فيا خسران أهل الاعتزال[٣١]

أي إن جميعَ قصورِ الجنّة ونُزُلِها، وجميعَ الحورِ اللواتي تغرقُ الدنيا في نور إحداهن إن انعكس عليها، والفواكه والأطعمة وغيرها تتوارى عن العين وتنحجبُ عند رؤيته تعالى، وهكذا فإن سيدنا رسولَ الله ﷺ الذي حظيَ بكلِّ هذا وبلغَ مرتبةً بين الوجوبِ والإمكان عادَ إلى البشريّة مجدّدًا دون أن تزيغَ عيناه وما عودَتُه تلك إلا من أجلِ أن يُبلِّغ أمَّتَهُ بما رآهُ وأحسَّهُ وشعرَ به من النِّعَمِ.

وعندما ذكرَ أحدُ الأولياءِ -ويُدعى "عبدَ القدوس"- عودةَ رسول الله ﷺ من مثل هذه الرحلة قال: "والله وبالله وتالله لو أنني كنتُ وصلْتُ إلى هذه المقامات والمراتبِ لما عدتُ إلى الدنيا مجدّدًا"، وقد علَّقَ

(٣٠) انظر: **صحيح البخاري**، بدء الخلق، ٦، الأنبياء، ٤٣، مناقب الأنصار، ٤٢؛ **صحيح مسلم**، الإيمان، ٢٥٩، ٢٦٤.

(٣١) الأوشي: **بدءُ الأمالي**، ص ٤١.

أحدُهم على كلامه هذا قائلًا: "هذا هو أكبر فرقٍ بين مقام النبوّة والولاية". أجل، إن الأنبياء وُجدوا لأجل حياة الآخرين تمامًا، أما الأولياء فقد يرغبون في الرفعة المعنويّة والمقامات العالية والوصول إلى المتعِ المعنويّة الروحيّة.

أضف إلى ذلك أن رسول الله ﷺ الذي بلغ مثل هذا الأفق وهو لا يزال حيًّا في الدنيا حين يسمع في الآخرة أيضًا صرخات من سيدخلون جهنم من أمَّته -ربما أنه- سيدنو من حافتها، ويمدُّ إليهم يده، ويطلب إخراجهم منها مثلما عاد إليهم في الدنيا كي يرشدهم ويهديهم إلى الطريق المستقيم، كل هذه مظاهر مختلفة الأبعاد لتجلّيات مختلفة من الإيثار ذي الأفق النبوي.

ترياقٌ يقضي على الاشتباكات والمنازعات

نحن اليوم بحاجة مُلحَّة إلى روح الإيثار المرتبطة بالإيمان والحياة القلبية والتقرُّب إلى الله والشفقةِ ومشاعر الإحياء. أجل، إننا في حاجةٍ إلى أولئك الفتيةِ القادرين على الاستغناء عن الدنيا بجوانبِها الشهوانية وملذّاتها وما فيها، الذين يَحيَون كي يحيا الآخرون فحسب، القادرين على قول: "اللهم إنه لا قيمة لحياتي ولا قَدْرَ لها إلا إذا كانت ستُسهِمُ في حياةِ وإحياءِ الآخرين، وإلا فإنني أشعرُ بالاشمئزازِ من هذه الحياةِ التافهةِ التي لا تُفيدُ الآخرين شيئًا، ولا تبعث فيهم الشعور بالانبعاث، وأعوذُ بكَ من مثلِ تلك الحياة، اللهم فخلِّصْنِي من هذا البلاء".

لأن الأشخاص الأنانيين الذين يتشدَّقون بأنفسهم دائمًا قائلين: "أنا، أنا" تسبَّبوا في تصارعِ الناسِ فيما بينهم، وأثاروا فيهم مشاعرَ

الحسـدِ والغيرة والاسـتثقال والعِراك؛ فجعلوا المجتمـع في حالة لا تُطـاق، هـذا في حين أن هنـاك آلافًا من الناس يسـتطيعون القيام بما يقـوم بـه هذا وذاك من الأعمال، فليتهم وثقوا بالله ولو قليلًا، وقرروا المسـير في طريق الرسـول والصحابة طالَما يتحدَّثون عنهم، وليتهم تراجعـوا خطـوةً إلى الوراء حين لَزِمَ الأمر؛ فليـس في هذا ما يُضيرُ، وليتَهـم قالـوا: "تفضَّلْ، تَوَلَّ أنت هذا العمـل"، وهكذا؛ فإن كان ثَمَّةَ إكسـيرٌ يسـاهم في رَأْبِ صدعِ المجتمـع الذي تمزَّقَ وانفصلَ بعضُه عن بعضٍ فإنه لا محالةَ روحُ الإيثار التي سـتترعرع في تلك القلوبِ من جديد.

وإلا فإنه لن يمكن حلها بواسطة الدبلوماسيّة ولا الحيل السياسية، ولا ألعـاب التسـلية، ولا بواسـطة إسـتراتيجيّات مؤسّسـات التفكير والتخطيـطِ، ولـو أنها حُلَّتْ لـكان المجتمـع الذي عـاش عديدًا من الانقلابات والتحولات منذ أمسه وحتى يومه هذا قد خطا واثِقًا نحو أفقٍ متقدِّمٍ، ولكنّ الملاحَظَ أن الوحشـية لا تزالُ مسـتمرَّةً، ولا يزال النـاس يأكل بعضهـم بعضًا كما يفعل أكلة لحوم البشـر، بالله عليكم هل يختلف إمطار الناس بالقنابل، واستخدام الغازات السامّة، وعدم الاعتـراف بحـقِّ الآخرين في الحياة، والتحـرك وفقًا لظاهرة الخوف من الإسـلام، وارتكاب أنواع من المظالـم خوفًا من الجماعة... هل يختلـفُ كلُّ هـذا عن أكلِ لحومِ البشـر في شـيءٍ!؟ إن هذا كلّه ليس شيئًا آخر سوى وحشيةٍ من نوع مختلف، أما السبيل إلى القضاءِ على كلِّ هذا فهو التوجُّهُ إلى روحِ الإنسانيّة من جديد، والسعي إلى الوفاء بضروريات "أحسن تقويم".